المحاضرة الثالثة: التعليميات: من الفنية إلى العلمية.

بالعودة إلى تاريخ تعليم اللّغات نكتشف أن التعليم التقليدي نظر إلى العملية التعليمية على أنها عملية تتم بين قطبين هما المتعلم والمعلم ؛فلم يكن التمييز بين تعليم العلوم أو المهارات انشغالا جوهريا بل كان تركيزه على طريقة نقل هذه المعارف والمهارات إلى المتعلم.

ومن أبرز سمات التعليم التقليدي أيضا نظرته إلى التعليم على أنه عملية فنية تخضع لانطباعات المعلم وميولاته ؛إذ يمتلك الحرية المطلقة في ممارسة الأساليب والإجراءات التي يراها مناسبة، فالتدريس حسب الفكر التربوي التقليدي فن تتحدد ملامحه في الفصل الدراسي .

انشغلت عدة علوم بقضايا التعليم، وكان أبرزها الميتودولوجيا والبيداغوجيا وصولا إلى التعليميات، وخلال هذا التطور انتقل التعليم من الفنية إلى العلمية .

فقد أُستعمل مصطلح (Didactique) للدلالة على نوع من التعليم الذي يراعي خصوصية المادة المدرَّسة، ويحيلنا هذا المفهوم على ملاحظة ذلك الاختلاف الموجود بين ما يمكن أن نسميه الفكر التعليمياتي والفكر البيداغوجي، فمن المعلوم أن البيداغوجيا قد عنيت –منذ زمن بعيد– بمجال التعليم، فركزت على عدد من المبادئ التي تشكّلت من رؤيا تقليدية، تنظر إلى التعليم على أنه فن يتطوّر بتطوّر التّجارب الفردية، ولم تهتم كثيرا بالعناصر الأخرى كالمتعلّم والمادة التعليمية، وهذا الإغفال قد صار جوهر اهتمام لفكر قام على هدم الفكر البيداغوجي؛ إذ إنه اعتمد على رؤيا مغايرة عمادها نقل مجال التعليم من الفنية إلى العلمية، وذلك تأثّرا بالحركة العلمية التي نشطت في القرن العشرين، فظهرت أفكار جديدة تؤطّر مجال التعليم من قبيل علمنة التعليم، وضبطه بقوانين المنهج العلمي.

وربما تعتبر فكرتا مراعاة **خصوصية المادة التعليمية**، والتركيز على **خصوصيات المتعلّم** النفسية والاجتماعية والثقافية من أهم التجديدات التي حملها هذا الفكر الحديث، الذي اختار لنفسه مصطلح (Didactique) بديلا عن مصطلح البيداغوجيا (Pédagogie)،هذا الأخير الذي تعود أصوله

الاشتقاقية إلى الكلمة الإغريقية (Paidos) ، وتعني الطفل، ولئن كان لفظ (Pédagogie) يدل على التركيز على المتعلّم (الطفل)، ولفظ (Didactique) المشتق من الكلمة الإغريقية (Didaktikos) يدل على التركيز على التعليم، فإن مفهوم المصطلحين يختلفان عن معنى اللفظ، إذ انشغلت البيداغوجيا بالدرجة الأولى ليس بالمتعلّم بل **بالتعليم** بمفهومه العام والشامل، في حين تنشغل التعليميات ليس بالتعليم بل **بالمادة التعليمية** التي تحتاج إلى تعليم خاص، وضمن هذا الاتجاه الفكري نشأة مصطلح التعليميات أو تعليميات مادة، وهما في الحقيقة مصطلحان يدلان على المفهوم نفسه، الذي سنوضحه في المحاضرة الموالية.